سميرة عزّام: البحث عن الإنسان والأخلاق والوطن

فيصل درّاج

تحتل سميرة عزام، في حاضر القصة القصيرة الفلسطينية وفي ماضيها القريب، مكاناً خاصاً ومتميّزاً، إن لم يكن مكاناً رائداً. وتتجلّ هذه الريادة في شكل التعامل مع القصة القصيرة وفي حجم العطاء الذي انتجه هذا التعامل. فلم تقف سميرة على ضفاف الفن الذي تتعامل معه، بل دخلت فيه، ومارسته واعطت فيه كتابة واضحة الانتماء، تظل رغم غيومها قائمة في الحقل الذي تنتمي إليه، حقل القصة القصيرة من حيث هي فن محدّد ومتمايز. وفي هذا الفن، وضمن حدود معينة، كتبت سميرة مجموعاتها القصصية الخمس التي مثّلت، ولا تزال، مساهمة حقيقية في الكتابة الفلسطينية، جديرة بالقراءة والاستعادة، وجديرة بالتذكير والإنارة. وإذا قبلنا بالتذكير، وعدنا إلى صاحبة «الانسان والساعة»، وقرأنا سطورها في زمانها، وقارنّا بينها وبين حاضر القصة القصيرة الفلسطينية، لوجدنا أن تلك السطور جديرة باحترام اكيد، ولوجدنا فيها ايضاً صوتاً خاصاً ومختلفاً.

سميرة عزام صوت مختلف، صوت له عالمه وزمانه وصداه. عالمه هو الانسان في هشاشته وضعفه، في دفاعه عن الحياة وتطامنه حزيناً امام إيقاع الموت والزمن. وزمانه هو من اللجوء والخيام المستباحة والانتظار القلق. أما الصّدى، فهو لوعة الانسان وانكساره امام سطوة الأيام وعجزه عن تحقيق الحلم الذي يستيقظ ويغيب دون ان يعرف التحقق. عن الحلم والوطن والانسان كتبت «كاتبتنا» واطلقت صوتها المختلف، الذي بدأ بالانسان وانتهى إلى الوطن، والذي بدأ من الوطن ثم غاب بعد هزيمة حزيران (يونيو)، فحاصره النسيان او شيء قريب من النسيان. وعلى الرغم من موت الكاتبة المبكّر، ومن شبه النسيان الذي احاط بقصصها، فإن مجموعاتها الخمس تظل حاضرة في ذاتها، تستدعي القراءة والتذكير، والمجموعات هي: اشياء صغيرة ــ ١٩٥٤؛ الظل الكبير ــ ١٩٥٦؛... وقصص اخرى ــ ١٩٦٠؛ الساعة والانسان ــ ؟؛ العيد من النافذة الغربية ــ ١٩٧١.